حين تحرق النار الطغاه

من أساطير بابل وفرعون إلى ملحمة غزة

دار الفراعنة للنشر والتوزيع

حين تحرق النار الطغاة
من أساطير بابل وفرعون إلى ملحمة غزة

أسم المؤلف: علاء قريش

الطبعة الأولى

–

التدقيق اللغوي: دار الفراعنة

التجهيزات الفنية والطباعة:

دار الفراعنة للنشر والتوزيع

- رقم الإيداع: 22016 / 2025م
- الترقيم الدولي: 1 – 54 – 8883 – 977 – 978

- الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الدار، بل تعبر عن رأي المؤلف في المقام الأول.
- حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة، للناشر، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقميًا، أو إتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف ومن الناشر.

علاء قريش

حين تحرق النار الطغاة

من أساطير بابل وفرعون
إلى ملحمة غزة

الطبعة الأولى

2025

الإهداء

إلى كل نفسٍ حُرّة لم تُرهبها نيران النمرود،

إلى كل قلبٍ مؤمن لم تُعْمهُ سطوة فرعون،

إلى غزة الجريحة، التي تُعيد اليوم كتابة الدرس القديم

أن الطغاة مهما تجبّروا يسقطون،

وأن المظلومين، مهما حُوصِروا، يكتبون مجدهم بالدم والدموع.

إلى الشهداء الذين صاروا نجومًا تهدي الطريق،

وإلى الأحياء الذين يحملون في عيونهم وعد الفجر...

أُهدي هذه الصفحات،

علّها تكون شهادة على أن التاريخ لا يرحم الطغاة،

وأن الله لا يترك الحق وحيدًا أبدًا.

علاء قريش

مقدمة

هذا الكتاب ليس حكاية عن ملوك غابرين، ولا هو مجرد استعادة لقصصٍ دُفنت في كتب التاريخ.

إنه مرآة تُريك الوجه الواحد للطغيان، كيف يتكرر بأسماء مختلفة وأزمنة متباعدة، لكنه يسقط دومًا بنفس الطريقة :بغبائه هو.

النمرود، ملك بابل الذي قال في غيِّه" :*أنا أحيي وأميت*" ، لم يدرك أن الحياة والموت ليستا قرارًا يُوقَّع في قصرٍ ولا أمرًا يُلقىٰ من علىٰ عرش. وفرعون، حين صاح في قومه" :*ما علمت لكم من إله غيري*" ، لم ينتبه أنه من طين يأكل ويشرب ويتغوط مثلهم، لكنه أوغل في الغرور حتىٰ جعل من لحظة استعراضه علىٰ الملأ بداية سقوطه.

الأعجب أن غباؤهم لم يكن في استبدادهم وحده، بل في اختيارهم لحظة المواجهة العلنية:

فالنمرود جمع الناس ليشهدوا حرق إبراهيم، فإذا بالمشهد ينقلب إلى معجزة تشهدها العيون، ويخرج إبراهيم من النار سالمًا كأنها لم تمسّه.

وفرعون دعا شعبه في يوم الزينة ليشهدوا إذلال موسى، فإذا بالسحرة أنفسهم يسجدون للحق أمام الجميع، فتتحول لحظة سلطانه إلى يوم فضيحته.

هذا هو قانون الله في الطغاة يُهيئون بأيديهم المشهد الذي يفضحهم، ويجعل الجماهير ترى الحقيقة عارية بلا أقنعة.

واليوم، يتكرر المشهد ذاته علىٰ أرض غزة. المحتل الذي ظن أن القتل والقصف سيُسكت صوت المقاومة، فتح عدسات العالم علىٰ مجازره.

أراد أن يرهب الناس بالنار والحديد، فإذا به يصنع من كل بيتٍ مهدوم شهادة، ومن كل شهيدٍ راية، ومن كل صورة لطفلٍ تحت الركام، معجزةً تُبكّت ضمير الإنسانية.

النمرود وفرعون لم يسقطا فقط بقدرة السماء، بل بسذاجتهما المستعلية. وكذلك الاحتلال اليوم، لا يُهزم فقط ببسالة المقاومة، بل بفضائحه التي يصنعها بنفسه أمام الشاشات.

إنها سنة تتكرر الطغيان حين يبلغ ذروته، يبدأ في حفر قبره بيديه.

قراءة تحليلية

حين تحرق النار الطغاة

من أساطير بابل وفرعون إلى ملحمة غزة

بقلم: إكرام عيد

"سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ"

ليست الحكايات القرآنية مجرد سرد لوقائع غابرة، وليست القصص التاريخية مجرد ذاكرة محفوظة للاتعاظ.

إنها نصوص حيّة، تُستعاد في كل عصر لتكشف عن سنن التاريخ وطبائع البشر والكتاب الذي بين أيدينا، "حين تحرق النار الطغاة من أساطير بابل وفرعون إلى ملحمة غزة"، ينطلق من هذه الرؤية ليعيد قراءة شخصيتين من أكثر طغاة التاريخ حضورًا في النص القرآني النمرود وفرعون، لا بوصفهما أسماءً عابرة، بل كنموذج متكرر للغرور البشري الذي ينقلب على صاحبه في لحظة الحقيقة.

الطغيان والغباء: علاقة بنيوية

الطرح المركزي للكتاب يقوم على فكرة جريئة أن الطغيان في جوهره غباء سياسي، مهما تنمّق بمظاهر القوة.

فالنمرود لم يكن يفتقر إلى الجنود أو السلطان، لكنه عجز عن إدراك معنى الحياة والموت حين حاجّ إبراهيم قائلًا" :أنا أحيي وأميت ." وفرعون لم يكن يفتقر إلى الجيوش أو السحرة أو الإعلام، لكنه عجز عن رؤية أن الحق لا يُهزم، فصرخ في قومه" :ما علمت لكم من إله غيري."

كلاهما لم يسقط بنقص القوة، بل بسذاجة الاستعلاء، حين جعلا من لحظة المواجهة العلنية مسرحًا لفضيحتهما:

النمرود جمع الناس ليشهدوا حريق إبراهيم، فإذا بهم يشهدون معجزة النار الباردة.

فرعون اختار يوم الزينة لإذلال موسىٰ، فإذا به يرىٰ سحرته أول المؤمنين.

هنا يكشف الكتاب عن قانون تاريخي الطغاة هم أعداء أنفسهم قبل أن يكونوا أعداء خصومهم.

قراءة في المنهج

النص يشتغل بوعي أو بغير وعي ضمن أفق النقد الثقافي .

فالمؤلف لا يكتفي بإعادة سرد القصتين، بل يحللهما كبنية ثقافية تتكرر في كل زمان:

الطغاة يتغذون علىٰ وهم الأبدية.

يستندون إلىٰ استعراض القوة العلني.

يحتقرون وعي الشعوب، فيظنوها دائمًا تابعة.

لكن سنة الله تكشف لهم عكس ما يتوهمون أن الجماهير حين ترى الحق بأعينها، تتحول من متفرجين إلى شهود، ومن خائفين إلى مؤمنين.

غزة النسخة المعاصرة من الدرس القديم

هنا تتجلى براعة الكتاب في الربط بين الماضي والحاضر.

فالقصة لا تنتهي عند النمرود وفرعون، بل تمتد إلى غزة اليوم، حيث الاحتلال يكرر نفس الأخطاء:

يجمع العالم أمام شاشاته ليشاهد قصف البيوت، فيفضح نفسه بالصوت والصورة.

يظن أن الدم يُرهب، فإذا به يُحوِّل كل شهيد إلى أيقونة مقاومة.

يظن أن روايته الإعلامية مطلقة، فإذا بالحقائق الرقمية تكسر احتكاره وتفضح زيفه.

وكما جعل الله النار بردًا وسلامًا على إبراهيم، جعل من نار الاحتلال فضيحة عالمية.

وكما سجد السحرة في قلب مشهد فرعون، يسجد اليوم أحرار العالم أمام صور غزة معلنين إيمانهم بعدالة القضية.

بين الأسطورة والواقع جدلية لا تنتهي

الكتاب يقنع القارئ أن التاريخ ليس دائرة مغلقة، بل مرايا متكررة . النمرود وفرعون ليسا شخصيتين اندثرتا، بل هما رمز يتجسد في كل عصر بوجه جديد.

والاحتلال اليوم، بكل ما يملكه من قوة عسكرية ودعاية إعلامية ليس إلا فرعونًا آخر، يعيد نفس الغباء، ويكرر نفس المصير.

هذا التحليل لا يكتفي بإعادة الاعتبار للتاريخ القرآني، بل يمنحه وظيفة راهنة أن نتعلم أن القوة ليست في السلاح، بل في الصمود. وأن الطغاة لا يُهزمون فقط بالمقاومة، بل يسقطون حين يفضحون أنفسهم.

لغة الكتاب وأسلوبه

اللغة مزيج بين السرد القصصي المكثف واللمسة الفلسفية العميقة. القارئ لا يجد نفسه أمام حكاية تُروىٰ فحسب، بل أمام رحلة فكرية وإنسانية .

هناك حضور قوي للآيات القرآنية، لكن من دون إغراق وعظي؛ بل كاستشهاد حيّ يمنح النص هيبة وعمقًا.

كما أن الإسقاط علىٰ غزة جاء بلغة رمزية رصينة، بعيدة عن المباشرة الفجة، مما جعل النص متماسكًا ومؤثرًا.

الخاتمة حين يتحول الطغاة إلى شهود ضد أنفسهم

في النهاية، لا يقدّم الكتاب تاريخًا بديلًا ولا رؤية جديدة فحسب، بل يقدم شهادة إنسانية علىٰ أن سنة الله لا تتبدل

الطغاة يهزمون أنفسهم بقراراتهم.

الشعوب، وإن صمتت وقتًا، ترىٰ الحقيقة حين تُعرض أمامها.

والحق، مهما حوصر، يملك قوة الظهور ولو من خلال أعدائه.

كلمة أخيرة كقارئة لا أُشبع نهمي إلا حين أجد نصًا يُشبهني أستطيع القول إن هذا الكتاب لم يكتفِ بأن يعيدني إلىٰ قصص القرآن، بل جعلني أرىٰ غزة في مرآتها، وأرىٰ أن الطغاة مهما تبدّلت وجوههم وأزياؤهم، يظلون أسرىٰ غبائهم الأبدي.

إنه كتاب لا يُقرأ مرة واحدة، بل يُستعاد عند كل مواجهة بين الحق والباطل، ليذكّرنا أن النهاية دائمًا واحدة الطغاة ينهزمون والمظلومون يكتبون مجدهم بدمائهم ودموعهم.

الفصل الأول

النمرود نار الغباء تفضح نار الحقيقة

في قلب بابل، حيث كان الناس ينحتون الأصنام بأيديهم ثم يخرّون لها ساجدين، جلس النمرود على عرشه متوهّمًا أنه فوق البشر، وأن سلطانه لا يُقهر.

لم يكتفِ بالملك ولا بالجبروت، بل تجرأ وقال لقومه "أنا ربكم"، كأنما نسي أنه جسد من طين، يأكل ويشرب، ثم يمرض ويموت.

لكن في تلك الأرض المظلمة، بزغ نور إبراهيم عليه السلام، الذي أعلن أمامهم أن للكون ربًّا واحدًا، يحيي ويميت، ويأمر الشمس أن تشرق من المشرق وتغيب في المغرب.

حينها سقطت هيبة النمرود أمام حجة إبراهيم، فبهت الذي كفر.

ومع ذلك، لم يعترف بجهله، بل دفعه غروره ليصنع أكبر خطأ في تاريخه.

قرر النمرود أن يجعل من معركته مع إبراهيم عرضًا جماهيريًا. جمع الناس من كل صوب، أمر بجمع الحطب حتىٰ صار كالجبل، أشعل نارًا عظيمة تضجّ ألسنتها في السماء، وبنىٰ منجنيقًا ضخمًا ليُلقىٰ فيه إبراهيم أمام العيون.

كان يظن أنه سيحطم النبي أمام الملأ، ويثبت أنه "الإله" الذي لا يُردّ أمره.

لكن الغباء كان في قلب المشهد.

لقد هيّأ المسرح بيده لمعجزة السماء. وحين ألقي إبراهيم في النار قال الله لها: يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

فخرج من اللهيب سالمًا، لم يحترق له ثوب، ولم تمسه شعلة. والناس الذين احتشدوا ليصفقوا لـ"انتصار الملك"، صُدموا بمعجزة حية تهدم أصنام عقولهم. لقد أراد النمرود إذلال إبراهيم، فإذا به يرفع رايته أمام أعين الجميع.

الغباء السياسي حين يفضح الطغاة أنفسهم

لو كان النمرود أذكىٰ قليلًا، لقتل إبراهيم في الخفاء، أو دفن دعوته بعيدًا عن الأعين. لكنه اختار العلنية، فأعطىٰ الناس مشهدًا خالدًا، لا يمكن إنكاره. أراد أن يطفئ نور الحق بالنار، فإذا بالنار تتحول إلىٰ شاهد عليه.

وهذا هو جوهر غباء الطغاة يظنون أن الاستعراض سيُرهب الشعوب، بينما هو يفتح أعينهم علىٰ الحقيقة.

النار التي تحرق الطاغية

اليوم، يعيد الاحتلال نفس المشهد علىٰ أرض غزة.

يظن أن قصف البيوت، وحرق الأطفال تحت الركام، سيُخيف الناس ويُسكت المقاومة. لكنه، مثل النمرود، يُشعل نارًا يظنها خاتمة أعدائه، فإذا بها تتحول إلىٰ معجزة كشفه.

الكاميرات التي أرادها لتبرير "قوة الردع"، صارت شاشات تُبث للعالم صور المجازر. كل بيت مهدوم صار شهادة، وكل دمعة أم على طفلها صارت برهانًا، وكل جثة تحت الأنقاض صارت لعنة تطارد المحتل.

لقد جمع النمرود الناس ليشهدوا نهايته، واليوم يجمع الاحتلال العالم كله أمام شاشاته ليشهدوا على جرائمه. إنها نفس القاعدة :الطاغية يسقط حين يظن أن المشهد له وحده.

الفصل الثاني

فرعون يوم الزينة ويوم الفضيحة

كان فرعون مصر في زمان موسىٰ عليه السلام أكثر من مجرد ملك؛ كان رمزًا للجبروت المطلق، يتكلم فيُطاع، ويأمر فيُنفّذ، حتىٰ بلغ به الغرور أن قال لقومه :أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ.

لم يكن يرىٰ في الناس إلا عبيدًا، ولا في نفسه إلا إلهًا.

أحاط نفسه بجيوش جرارة، وكهنةٍ يباركون طغيانه، وإعلامٍ يلمّع صورته، وسحرةٍ يملؤون قلوب الناس رُعبًا بألاعيبهم.

ظن أن هذا الحشد المهيب سيحميه من أي تحدٍّ.

لكنه نسي أن الحق لا يحتاج إلىٰ جيش، وأن الباطل لا يقوىٰ علىٰ البقاء ولو امتلك الدنيا كلها.

يوم الزينة المسرحية الكبرىٰ

حين جاء موسىٰ برسالته، لم يره فرعون إلا مشاغبًا صغيرًا يهدد ملكه.

لم يناقش الفكرة، ولم يتأمل الآية، بل أراد سحق موسىٰ علنًا، تمامًا كما فعل النمرود من قبل مع إبراهيم.

اختار يومًا من أيام الاحتفال الشعبي، يوم الزينة، حيث يجتمع الناس في الساحات منذ الصباح.

كان يظن أن هذا التوقيت الذهبي سيجعل من انتصار سحرته علىٰ موسىٰ عرضًا جماهيريًا، يقضي علىٰ دعوته، ويثبّت هيبة الفرعون في عيون الشعب.

هيأ المشهد بعناية أُعلنت الدعوات في القرىٰ والنجوع، تدفق الناس علىٰ العاصمة، امتلأت الساحات، وارتفعت الأبصار نحو المنصة التي نصبت للعرض.

كان فرعون واثقًا من النتيجة، متأكدًا أن النهاية ستكون إذلال موسىٰ علنًا. لقد أرادها محاكمة شعبية أمام أعين الجميع.

بداية المواجهة ثقة الباطل أمام يقين الحق

وقف السحرة أولًا، ألقوا حبالهم وعصيهم، فإذا بها تتحرك كأنها ثعابين تسعىٰ، فامتلأت القلوب خوفًا.

الناس ظنوا أن المعركة محسومة قبل أن تبدأ.

بدا موسىٰ في أعينهم ضعيفًا أمام هذه الجموع، مجرد رجل يحمل عصًا لا تقارن بجيش من السحرة.

لكن موسىٰ لم يتردد، ولم يهتز قلبه، لأن اليقين الذي يحمله أعظم من أي استعراض.

ألقىٰ عصاه، فإذا بها تتحول إلىٰ حيّة عظيمة، تلقّف ما صنعوا، فبُهت السحرة قبل أن يبُهت الشعب.

كانوا أول من أدرك الحقيقة هذا ليس سحرًا، بل آية من الله. فسجدوا على الفور، معلنين : آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ.

لحظة الفضيحة انهيار الهيبة أمام الجميع

في لحظة واحدة، تحوّل المسرح الذي بناه فرعون لتثبيت ملكه إلى مقبرة لهيبته.

السحرة الذين جاء بهم ليُرهبوا الناس صاروا شهودًا على صدق موسى. الجماهير التي أراد إخضاعها رأت الحق بأعينها، لا رواية تنقل، بل مشهدًا حيًا أمامهم.

وهنا ظهر غباء فرعون بأوضح صورة لو أنه واجه موسى في الخفاء لربما استطاع إخماد دعوته في بدايتها.

لكن كبرياءه دفعه إلى العلنية، فحوّل المواجهة إلى إعلان مفتوح لانتصار الحق على الباطل. لقد جمع الناس ليشهدوا هزيمته.

فرعون لم يكن مجرد طاغية عادي، بل كان أسير وهم الأبدية يظن أن ملكه خالد، وأن الشعب لا يجرؤ على رؤية الحق.

هذه العقلية جعلته أعمى عن أبسط الحقائق أن الشعوب ليست مغفلة كما يتصور، وأن لحظة صدق واحدة قد تهدم جبال الكذب.

لقد أخطأ مرتين:

استهان بالشعب، وظن أن الناس سيصفقون له مهما حدث.

سلط الضوء على عدوه، فجعله بطل المشهد.

وهكذا صنع هزيمته بيده.

وما أشبه اليوم بالأمس. في غزة، يكرر الاحتلال نفس خطأ فرعون. حين قرر أن يقصف البيوت، ويهدم المساجد، ويحوّل الأعياد إلى مآتم، ظن أنه يثبت هيبته أمام العالم.

لكنه لم يدرك أن زمن يوم الزينة لم ينتهِ؛ اليوم الكاميرات تنقل الصورة لحظة بلحظة.

كما وقف شعب مصر يوم الزينة ليرىٰ الحق بأعينه، يقف اليوم العالم أمام شاشاته ليرىٰ أطفالًا يُنتشلون من تحت الركام.

كما انقلب السحرة علىٰ فرعون في قلب المسرح، ينقلب اليوم كثير من الأحرار حول العالم علىٰ رواية الاحتلال، معلنين إيمانهم بعدالة القضية الفلسطينية.

وكما فقد فرعون هيبته أمام الناس الذين جمعهم، يفقد الاحتلال هيبته أمام العالم الذي فضحته صوره.

لقد أثبت يوم الزينة أن الطغاة أعداء لأنفسهم قبل أن يكونوا أعداءً لغيرهم. كلما حاولوا سحق الحق علنًا، صنعوا بأيديهم لحظة فضيحتهم.

وكلما أرادوا إخماد الأصوات، زادوا من قوتها.

فرعون لم يسقط في يوم البحر فقط، بل سقط أولًا في يوم الزينة، حين انهارت هيبته أمام شعبه.

وكذلك الاحتلال اليوم، لن يسقط فقط بصواريخ المقاومة، بل يسقط كل يوم بصور جرائمه التي تُبث أمام العالم، وتُسقط قناع القوة الذي يتستر به.

الفصل الثالث

بين الغباء السياسي وسُنّة الله في نصرة الحق

عندما نتأمل في قصتي النمرود وفرعون، لا نرىٰ فقط شخصين غارقين في الغرور، بل نرىٰ نموذجًا متكررًا للطاغية عبر التاريخ طاغية يظن أن سلطانه أبدي، وأن استعراض القوة يغني عن البصيرة، وأن الجماهير ما خُلقت إلا لتصفق.

لكن ما لا يفهمه الطغاة أن الله يجعل من أخطائهم هم، ومن غبائهم بالذات، سلَّمًا يرفع الحق، وسلاحًا يهدم جبروتهم.

الغباء السياسي حين يتحول الدهاء إلىٰ فخ

الطغاة يظنون أنهم أذكىٰ من الجميع، وأن خططهم محكمة لا تُهزم. لكن التاريخ يكشف لنا أن أكبر هزائمهم جاءت من أغبىٰ قراراتهم.

النمرود حين جمع الناس ليشهدوا حرق إبراهيم، منحهم أعظم عرض لمعجزة إلهية.

وفرعون حين اختار يوم الزينة ليُذل موسىٰ، صنع أول هزيمة علنية لهيبته.

لقد ظنوا أن الإعلان يقوي سلطانهم، فإذا به يفضحهم.

إن ما فعلوه يختصره المثل الشعبي" :*جاء ليكحلها، فعماها*"

وهذا ليس مجرد خطأ في التكتيك، بل هو قانون نفسي سياسي الطاغية الذي يصدق كذبة ألوهيته، يفقد القدرة علىٰ رؤية الحقيقة، فيتخذ قرارات تقوده إلىٰ نهايته.

القرآن يقررها بوضوح : وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ. حين يظن الطغاة أنهم يمكرون بالحق، فإنهم في الحقيقة يمهدون الطريق لظهوره.

الله لا يترك الحق وحيدًا، بل يُسنده أحيانًا بأخطاء خصومه.

هذه ليست مصادفة، بل سنة ربانية أن تُفضح الأكاذيب في مسرح العلن، وأن يرىٰ الناس الحق بأعينهم، فلا يكون إيمانهم مجرد رواية تُحكىٰ، بل تجربة عاشوها بأنفسهم.

النمرود وفرعون اعتقدا أن الشعب مجرد قطيع يسير خلف القوة.

لكن حين رأىٰ الناس النار تُطفأ عن إبراهيم، وحين شاهدوا السحرة يسجدون للحق، تغيروا من تابعين إلىٰ شهود

.هذه اللحظة هي التي يخافها الطغاة أن تتحول الجماهير من متفرجين صامتين إلىٰ مؤمنين بالحق.

وهذا الدرس لا يتغير الناس قد تُخدع لبعض الوقت، لكنهم لا يعجزون عن رؤية الحقيقة حين تُعرض أمامهم.

الطاغية حين يحتقر وعيهم، يزرع بذرة نهايته.

و اليوم، في غزة، نرىٰ النسخة الحديثة من هذا القانون.

الاحتلال يظن أن استعراض قصفه سيجعل الناس يصدقون روايته. يظن أن الهدم سيُخيف، وأن الدم سيُسكت الأصوات.

لكنه، دون أن يدري، يحوّل كل مجزرة إلىٰ وثيقة إدانة، وكل صورة إلىٰ معجزة تُحيي الضمير الإنساني.

كما جمع النمرود الناس ليشهدوا حريق إبراهيم، يجمع الاحتلال اليوم العالم أمام شاشات التلفاز ليروا أطفالًا يُنتشلون من تحت الركام.

وكما صنع فرعون يوم الزينة ليُذل موسىٰ، يصنع الاحتلال "أيام زينة" مزيّفة عبر مؤتمراته وإعلامه، فإذا بالناس يرون فيها الحقيقة مفضوحة.

وكما انقلب السحرة أول المؤمنين، ينقلب اليوم بعض من كانوا صامتين حول العالم إلىٰ شهود يدافعون عن غزة، معلنين أن الرواية الرسمية للاحتلال كاذبة.

في كل مرة يظن الطغاة أنهم يملكون زمام المشهد، فإنهم يحفرون لأنفسهم فخًا.

ليس لأن خصومهم أقوىٰ بالعدد أو السلاح، بل لأن غرورهم يعميهم عن أبسط الحقائق.

إنهم يظنون أن الجماهير لا ترىٰ، لكن الله يجعلها ترىٰ بوضوح أكبر.

إن الطغيان لا يسقط دائمًا بالسيوف والجيوش، بل يسقط حين يفضح نفسه، وحين يُسقط أقنعته بيديه.

لا تخشَ علىٰ الحق من قلة أنصاره، فالله قد يجعل من غباء خصومه أعظم دعاية له.

لا تُبالغ في هيبة الطغاة، فغالبًا ما تكون أول هزائمهم من قراراتهم الحمقاء.

لا تحتقر وعي الشعوب، فالشعوب قد تصمت، لكنها لا تعمىٰ عن الحق حين تراه.

الفصل الرابع

العبروالدروس حين يصنع الطغاة مجد الأنبياء

ليست قصتا النمرود وفرعون مجرد مشاهد من الماضي، ولا مجرد دروس وعظية تُروىٰ للأطفال في المدارس.

هما نافذتان مفتوحتان علىٰ سرّ متكرر في حركة التاريخ أن الطغاة مهما بالغوا في الجبروت، هم أنفسهم الذين يكتبون سيناريو سقوطهم، وأن الله يجعل من غبائهم سببًا في نصرة الحق.

الدرس الأول

لا تخف من قوة الباطل إن كان الحق معك

إبراهيم وموسىٰ عليهما السلام لم يكن في أيديهما سيوف ولا جيوش.

لم يملكوا قصورًا ولا إعلامًا ولا جيوشًا من المرتزقة.

كل ما حملوه كان اليقين بالله

.ومع ذلك، وقفوا في وجه أعتىٰ ملوك الأرض.

إبراهيم أُلقي في النار، فصارت بردًا وسلامًا.

موسىٰ وُضع في مواجهة شعبية أمام السحرة، فانقلب المشهد لصالحه.

المعجزة لم تكن فقط في خرق قوانين الطبيعة، بل في ثبات القلوب المؤمنة أمام الطغيان.

هذا الثبات كان هو الشرارة التي حطمت جبروت الطغاة.

الدرس الثاني

الطغاة يسقطون حين يثقون بأنفسهم أكثر من اللازم

النمرود كان في غاية الثقة وهو يخطط لإحراق إبراهيم، وفرعون كان في ذروة غروره وهو يحشد الناس ليشهدوا يوم الزينة. كلاهما كان يظن أن المشهد سيُثبت سلطانه أمام الجماهير، فإذا به يصبح إعلانًا رسميًا عن هزيمته.

هذا هو جوهر الغباء السياسي أن يصدّق الطاغية أنه معصوم، وأن خططه لا تُخطئ، فيغفل عن أبسط الحقائق.

الدرس الثالث

لا تُقلل من وعي الشعوب

الطغاة دائمًا يحتقرون وعي الناس.

يظنون أن الشعب مجرد كتلة صامتة، تسير وراء القوة أينما مالت. لكن الشعوب ليست غبية كما يتصورون، بل صبرها أحيانًا يُخفي وعيًا waiting for لحظة الحقيقة.

حين رأى الناس إبراهيم يخرج من النار سالمًا، تزلزلت قلوبهم.

حين شاهدوا السحرة يسجدون للحق، انفتحت أعينهم على زيف فرعون.

وفي كل عصر، لحظة صدق واحدة كفيلة بأن تهدم أبراج الكذب التي بناها الطغاة.

الدرس الرابع

معجزة الحق أنه لا يحتاج إلى دعاية

النمرود وفرعون بذلا جهدًا عظيمًا في صناعة "العرض الجماهيري" لكن الله جعل من هذا العرض دعاية مجانية للحق.

لو أخفوا المواجهة، لربما تأخر الناس عن رؤية الحقيقة.

لكن استعراضاتهم كانت أكبر هدية لدعوة الأنبياء.

وهذا ما يحدث اليوم الاحتلال يظن أن قصف غزة سيُسكت صوتها فإذا به يصنع من كل بيت مهدوم قصة، ومن كل دمعة أم ملحمة، ومن كل صورة وثيقة تُدين جبروته.

إنه يعيد نفس الدرس الطغاة يعلنون الحق دون أن يقصدوا.

في غزة، نرىٰ نفس القاعدة تتجلىٰ

كما لم تُحرق النار إبراهيم، لم تنكسر غزة تحت نيران الطائرات.

وكما سجد السحرة في قلب مشهد فرعون، يسجد اليوم أحرار العالم أمام الحقيقة التي تفضح الاحتلال.

وكما تحوّل الاستعراض إلىٰ فضيحة في الماضي، تحولت اليوم "قوة الردع" إلىٰ مجازر تُبث علىٰ الهواء، تُحرك ضمائر الناس من أقصىٰ الأرض إلىٰ أقصاها.

غزة اليوم تُعيد إلينا صوت التاريخ الطغاة لا يسقطون فقط بالمواجهة العسكرية، بل حين تُعرض جرائمهم أمام العيون.

لقد أراد الاحتلال أن يجعل من غزة ساحة إذلال، فإذا بها تتحول إلىٰ محراب مقاومة، وإلىٰ أيقونة تُلهب قلوب الشعوب.

الدرس الخامس

الحق يُعرف حتىٰ من فم أعدائه

الحق لا يحتاج دائمًا إلىٰ أنصاره، بل أحيانًا يخرج علىٰ لسان أعدائه.

حين سجد السحرة، كانوا شهودًا أقوىٰ من أتباع موسىٰ.

وحين خرج إبراهيم سالمًا من النار، لم يكن بحاجة لخطبة؛ فالنار الباردة كانت أبلغ من كل كلام.

واليوم، صور غزة التي ينشرها الاحتلال نفسه ليدّعي "الردع"، هي ذاتها التي تُدين جرائمه أمام العالم.

إنها المفارقة العظمىٰ أن يُصبح الطاغية نفسه أكبر شاهد علىٰ بطلان روايته.

القصص القرآنية لم تُروَ لمجرد التسلية، بل لتكون قانونًا خالدًا. وما نراه في غزة اليوم ليس إلا نسخة معاصرة من ذلك القانون

الطغاة يُسقطون أنفسهم بقراراتهم.

الشعوب ليست غافلة كما يتوهمون.

الحق لا يحتاج إلى جيوش، يكفيه أن يظهر في لحظة صدق واحدة.

الفصل الخامس

من النمرود وفرعون إلى غزة غباء الطغاة يتكرر

من يقرأ التاريخ بعين متأملة يكتشف أن الطغاة مهما اختلفت أسماؤهم وأزمانهم يشبهون بعضهم إلى حد التطابق.

غرور يعميهم، جبروت يفسد عقولهم، وغباء يزين لهم أنهم خالدون.

فإذا بهم، في ذروة قوتهم، يبدأون بحفر قبورهم بأيديهم.

النمرود حين أشعل نارًا فأطفأ نفسه ظن أن النار ستلتهم إبراهيم فإذا بها تتحول إلى برهان على صدقه.

جمع الناس ليشهدوا إذلال النبي، فإذا بهم يشهدون أول معجزة علنية تفضحه وتفضح أصنامه. كان يظن أن الحشد سيضاعف هيبته، فإذا به يتحول إلى جماهير شاهدة على عجزه.

وفرعون، في غمرة كبريائه، هيأ يومًا شعبيًا ظن أنه سيقضي فيه على موسى، فحوّل المشهد إلى بداية هزيمته.

لقد أراد أن يجعل من الشعب شاهدًا على انتصاره، فإذا بالشعب يشهد على سقوطه.

لقد انهارت أسطورته في اللحظة التي سجد فيها السحرة للحق وارتفع موسى نجمًا أمام الملأ.

وما أشبه الأمس باليوم. في غزة، يكرر الاحتلال نفس الأخطاء

يظن أن قصفه سيُسكت صوت المقاومة، فإذا بالدمار الذي يصنعه يتحول إلى وثائق مصورة تفضحه أمام العالم.

يظن أن المجازر ستُرهب الناس، فإذا بها توقظ الضمائر وتحوّل الشهداء إلى رموز للحرية.

يظن أن السيطرة على الإعلام ستضمن روايته، فإذا بشبكات التواصل تفضح أكاذيبه في كل لحظة.

إنه ذات الغباء الذي أسقط النمرود وفرعون الثقة العمياء في استعراض القوة، واحتقار وعي الشعوب.

لم يسقط النمرود ولا فرعون بجيش خارجي، بل سقطا بقراراتهما الحمقاء.

كذلك الاحتلال، لن يكون سقوطه فقط على يد سلاح المقاومة، بل على يد غبائه المتكرر حين يظن أن الدم سيطفئ الفكرة، وحين يظن أن الخراب يُرهب الأحرار.

لقد أراد أن يُخيف غزة، فإذا به يُخيف العالم من صمته.

أراد أن يصنع من دباباته رمزًا للهيبة، فإذا بها تتحول إلى صورة على شاشات التلفاز تثير الغضب والعار.

هذه هي سنة الله التي لا تتبدل أن الحق يعلو ليس فقط بقوته، بل بأخطاء أعدائه.

أن الطغيان لا يسقط فقط حين يواجهه السيف، بل حين يسقط قناعه أمام الناس.

وكأن التاريخ يردد في كل عصر الطاغية يفضح نفسه حين يظن أنه في ذروة انتصاره.

اليوم، غزة لا تكتب فقط قصة مقاومة، بل تكتب نسخة حديثة من الدرس الأبدي أن الطغاة مهما استعلوا، لا يملكون إلا أن يكونوا أدوات لفضح أنفسهم.

النار التي أرادوا بها الحسم، تحولت إلى نار تفضحهم.

الكاميرات التي أرادوا بها التلميع، صارت كاميرات إدانة.

من بابل إلى مصر القديمة، ومن غزة اليوم إلى كل أرض يُستضعف فيها الحق، يبقى الدرس واحدًا

أن الطغاة لا يُهزمون فقط بقوة الحق، بل يُهزمون أولًا بغبائهم.

وأن الله يُحوّل استعراضاتهم إلى مشاهد تعلن فضيتحهم.

وأن الشعوب، وإن صمتت وقتًا، ترى الحقيقة حين تُعرض أمامها.

النمرود وفرعون لم يكونا مجرد أسماء عابرة، بل رموزًا خالدة لغباء الطغاة.

واليوم، الاحتلال يُعيد المشهد، بنفس الغرور، بنفس الكبرياء وبنفس النهاية المحتومة السقوط تحت ثقل الحقيقة.

رسالة إلى القارئ

ليست هذه الصفحات التي قرأتها مجرد استدعاء لقصصٍ قديمة، ولا هي محاولة للتهكم على أسماء مرّت في كتب التاريخ.

ما أردته أن ترى معي الخيط السري الذي يربط بين الأمس واليوم أن الطغيان مهما تجبر، يظل في جوهره غباءً مقنَّعًا بالقوة.

النمرود حين أشعل النار ليُرهب إبراهيم، لم يكن يدري أنه يصنع أعظم مشهد يفضحه أمام قومه.

وفرعون حين جمع الناس يوم الزينة ليذل موسى، لم يكن يعلم أنه يحفر قبر هيبته على الهواء مباشرة.

واليوم، الاحتلال الذي يقصف غزة، ويهدم بيوتها، ويقتل أطفالها يظن أنه يُثبت قوته، فإذا به يفضح نفسه أمام العالم بالصوت والصورة.

الغباء لا يصنع فقط نهاية الطغاة، بل يصنع مجد المظلومين

هكذا هي سنّة الله أن الطاغية في قمة استعراضه يبدأ في الانكشاف. وأن المظلوم في لحظة ضعفه يُرفع فوق جبروت الطاغية.

النار التي ألقي فيها إبراهيم صارت بردًا وسلامًا، والعصا التي حملها موسىٰ صارت آية للعالمين، والدماء التي تُراق في غزة صارت راية تُوحّد ضمائر الأحرار.

إذا كنت تقرأ هذه السطور اليوم، فاعلم أن التاريخ لا يُروىٰ للتسلية. إنما يُروىٰ ليُضيء الطريق.

فكل طاغية جديد ليس إلا نسخة أخرىٰ من النمرود أو فرعون، يتغير الاسم والوجه، لكن النهاية لا تتغير.

الطغيان يبدأ بالغرور.

يتغذىٰ علىٰ الاستعراض.

وينتهي بفضيحته التي يصنعها بيديه.

رسالتي إليك أيها القارئ

حين ترىٰ طاغية يكثر من الاستعراض العلني، فاعلم أنه يقترب من لحظة نهايته.

وحين ترىٰ مظلومًا محاصرًا، فثق أن الله يُعِد له نصرًا لا يتوقعه أحد.
وحين يختلط عليك غبار الدعاية، فتذكَّر الحق لا يحتاج إلىٰ صخبٍ ليثبت، يكفي أن يظهر مرة واحدة في لحظة صدق، فيبقىٰ خالدًا إلىٰ الأبد.

كلمة أخيرة

الطغيان لا يدوم. والجبروت، مهما تلون وتجمّل، ينكسر عند أول مواجهة مع الحقيقة.

إن الله يُظهر آياته حتىٰ من خلال خطط أعدائه، ليظل التاريخ يردد إلىٰ يوم القيامة:

الطغاة يهزمون أنفسهم والمظلومون يكتبون مجدهم بدموعهم ودمائهم.

الفصل الحادي عشر

نبوءة الفناء حين يسقط العملاق من طين

"وَإِنْ عَادُوا عُدْنَا، وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا"

سفر النار والظل

في المخطوطات القديمة، يُروىٰ أن الطغيان مهما انتفخ، فإنه يُكتب بمداد الفناء علىٰ جبينه منذ أول لحظة.

النمرود أشعل نارًا ليطفئ الحق، فانطفأت ناره في قلب التاريخ. فرعون شقّ البحر بجنوده، فانطبق عليه فصار عبرةً للأمم. وإسرائيل اليوم، ذلك الكيان الذي يظن نفسه خالدًا، ليس إلا ظلًا عابرًا، عملاقًا من طين، سينهار مع أول ريح تهبّ من جهة الحق.

صوت الحجر والدم

في شوارع غزة، كل حجر يتكلم، وكل دمعة طفل هي آية، وكل جدار مهدوم مخطوطة جديدة تضاف إلىٰ كتاب النبوءة.

الناس هناك لا يقرؤون النهاية في أوراق المؤرخين فقط، بل يكتبونها بدمائهم.

كأن غزة ليست مدينة، بل سفر مفتوح يقول للعالم: "هنا يسقط الطغاة، هنا يولد الإيمان من جديد."

الليل الأخير للطغاة

يقول الحكماء: إن الطغاة حين يكثرون من الضجيج، فهم في ليلهم الأخير.

النمرود صاح: "أنا أحيي وأميت"، فكان موته في صرخته.

فرعون صاح: "أنا ربكم الأعلىٰ"، فكانت كلماته قبره.

واليوم تصرخ إسرائيل بصوت السلاح، تصمّ آذانها بأصوات الطائرات والدبابات، لكنها لا تعلم أن هذا الضجيج هو نعيها الأخير، وصوت جنازتها المعلنة.

الرؤيا – حين ينقلب السحر على الساحر

تُرىٰ في الرؤىٰ أن إسرائيل كعمود من دخان، يرتفع عاليًا في السماء، لكن الريح تذروه من الأطراف حتىٰ يتلاشىٰ في الفراغ.

وتُرىٰ في الأحلام أن أطفال غزة يقفون علىٰ أطلالها، لا بالسيوف، بل بالأقلام والكتب، يكتبون علىٰ جدرانها المتشققة: "العلو الكبير قد انتهىٰ... والوعد الحق قد حان".

البحر الجديد

البحر الذي غرق فيه فرعون لم يمت بعد. إنه ينتظر لحظة جديدة لحظة يبتلع فيها طاغية العصر.

ليس بحر الماء وحده، بل بحر الوعي الذي يتسع كل يوم. كل صورة، كل كلمة، كل شاهد من قلب الدمار، هو موجة في هذا البحر، حتىٰ إذا اجتمع الموج، ابتلع الكيان كما ابتلع البحر فرعون من قبل.

ستبقىٰ غزة نار إبراهيم التي لا تحرق

وعصا موسىٰ التي تلقف الأكاذيب

وبحرًا يبتلع الفرعونية الجديدة.

وستبقىٰ إسرائيل مهما علت أسوارها –كظلٍّ قصير عند الغروب:

يرتفع قليلًا ثم يختفي.

الكلمة الأخيرة

هذه ليست رواية تُختتم، ولا نبوءة غامضة تُنتظر، بل هي وعدٌ إلهي وسنّة تاريخية:

الطغاة ينهارون حين يبلغون ذروة غرورهم والمظلومون يكتبون أبدية الحق بدمائهم.

وغزة... هي المخطوطة الأخيرة في سفر الطغاة، شاهد علىٰ أن الحق لا يموت، وأن النهاية قادمة، مهما طال الليل.

وهكذا، لا تُقرأ نبوءة الفناء في الكتب وحدها، ولا تُسمع في خطب الوعّاظ فقط، بل تُرىٰ بالعين في غزة، وتُكتب بالدم علىٰ جدرانها. إسرائيل، مهما انتفخت قوتها، ليست إلا ظلًا عند الغروب، عملاقًا من طين ينتظر أول مطر ليتصدّع.

النمرود سقط في نار صنعها وفرعون غرق في بحر اقتحمه، وإسرائيل ستسقط في دماء أزهقتها، وصورٍ نشرتها، وأكاذيبٍ صنعتها.

إنها النهاية التي لا مهرب منها،

فالله لا يترك الباطل يُعلي صوته طويلًا، والشعوب لا تنكسر وإن طال ليلها.

وغزة هي الشاهد والرسول، التي تقول للعالم:

ها هي النبوءة تتحقق الطغيان فانٍ، والحق باقٍ.

1

"سفر النار والبحر"

وجوه الطغاة

النمرود ينهض من رماد بابل،
يحمل نارًا في قبضته،
ويظن أن اللهيب يلتهم الحق.

فرعون يقف على ضفة النيل،
عصاه سوط من غرور،
وصوته يعلو كالرعد الأجوف
"أنا ربكم الأعلى"!

لكن النار برد وسلام،
والبحر لا ينحني إلا لموسى،
والغطرسة تنكسر عند أول نسمةٍ من روح الله.

2
إبراهيم في النار

وحيدًا،
تتكالب عليه الأصوات،
الأعين تحاصر خطواته،
والنيران تتصاعد كجدار من لهيب.

لكنه يمشي مطمئنًا،
كأن الله أودع في صدره
بردًا أوسع من الفضاء.

"يا نار، كوني بردًا وسلامًا..."
فصار اللهيب جناحًا،
وصار الرماد بساطًا من نور.

وغزة، اليوم،
إبراهيم جديد،
تُلقى في نيران الطائرات،
وتخرج من تحت الركام
أكثر نقاءً،
أكثر يقينًا.

3
يوم الزينة

فرعون في عرشه،
والشعب محتشدٌ كما لو أنه في مسرح كبير.
السحرة يلوّحون بالعصي والحبال،
فتتحوّل الأعين إلى رهائن للوهم.

لكن العصا تنقلب حيّة،
والسحر يذوب كملحٍ في مطر،
والسحرة أنفسهم يسجدون للحق.

اليوم، في غزة،
كل صورة من تحت الركام
هي عصا جديدة،
تلتهم ما يصنعون من بروباجندا،
وتجعل الأكاذيب رمادًا
تذروه الرياح.

4
البحر

جيش فرعون يمتد كغيمة سوداء،
والخوف يتسرب في قلوب المستضعفين.

لكن موسى يرفع عصاه،
فينشق البحر نصفين،
كل نصف كجدارٍ من زجاجٍ أزرق،
يمر فيه الضوء كترتيلٍ خفي.

الطريق مفتوح،
والنجاة تمشي حافية القدمين،
بين جدران الماء.

وحين يدخل فرعون،
يبتلعه الموج كأنه سرٌّ قديم
ينتظر لحظة الإعلان.

وغزة، هي البحر الجديد،
مفتوحٌ للمقاومين،
مغلقٌ على الغزاة،
لا يرحم من ظن أن الدبابات
تعرف أسرار الموج.

5
المنّ والسلوى

في التيه،
لا خبز ولا ماء،
لكن الغمام ظلٌّ أبيض،
والسماء تُنزل رزقها.

بنو إسرائيل يأكلون المنّ والسلوى،
ليتعلموا أن الحياة لا تُقاس بالحصار،
بل بالعطاء الذي لا ينفد.

وغزة،
تأكل من صبرها،
وتشرب من دموعها،
وتحيا على وعدٍ مكتوب في العروق:
أن الجوع لا يقتل أمة،
بل يُولّد فيها شهية البقاء.

6
الحجر

موسى يضرب الحجر،
فتتفجر منه اثنتا عشرة عينًا.
الماء يخرج من قلب الصخر،
ليقول للناس:
الحياة تُولد حتى من الجماد.

وغزة،
تضرب الحصار بعصاها،
فتخرج الأنفاق كأنهار تحت الأرض،
وتخرج الأمل من قلب الحجارة.
هي مدينة تعرف كيف تُخرج الحياة
من رحم الموت.

7
الغرور

النمرود يضحك،
فرعون يزأر،
وإسرائيل تظن أنها أبدية.

لكن الغرور دائمًا كسراب
يرتفع عاليًا
ثم ينهار فجأة.

النمرود احترق بناره،
فرعون غرق في بحره،
وإسرائيل ستسقط في دمائها التي سفكتها.

8
غزة النبوءة الحيّة

كل بيتٍ مهدومٍ آية،
كل طفلٍ شهيدٍ قصيدة،
كل أمٍّ باكيةٍ نشيد،
كل حجرٍ كتاب.

غزة ليست مجرد مدينة،
هي نبوءة حيّة،
تقول للعالم:
"ها هو الحق،
وها هو الطغيان...
فانظروا أيهما يبقى".

9
السفر الأخير

يُقال إن الطغاة يصرخون أكثر
قبل النهاية
النمرود صاح فلم يُنقذ نفسه،
فرعون صرخ حتى لفظ البحر أنفاسه،
وإسرائيل تصرخ اليوم
بصوت القنابل

لكن الصراخ لا يغيّر المصير،
إنه فقط إعلان جنازةٍ
قبل أن يسقط الستار

أيتها النار
كوني بردًا وسلامًا

أيها البحر
انشقّ للفقراء، واغلق على الطغاة

أيها الحجر
أخرج ماءك للأسرى

أيها القلب
ابقَ على إيمانك

فالطغاة،
مهما انتفخوا،
يُهزمون بأخطائهم،
ويهدمون أصنامهم بأيديهم

وغزة...
ستبقى القصيدة الأخيرة
في سفرٍ طويل من الدم والدموع،
قصيدة مكتوبة لا بالحبر،
بل بالدم،
والنور،
واليقين.

10
وجوه في الركام

من تحت الأنقاض،
يخرج طفلٌ يحمل في يده حجرًا،
وعيناه تشعان كنجمتين في ليلٍ كثيف.

يصرخ:
"لن تموت المدينة"!

الريح تحمله،
وتسجّل صوته على جدران الغيم.

الطغاة لا يفهمون أن الأطفال
يكتبون التاريخ قبل الكبار،
وأن ضحكاتهم المبتورة
أقوى من طلقات البنادق.

11

سفر الدموع

امرأة في غزة،
تجلس على عتبة بيتها المهدوم،
بين يديها صورة طفلها الشهيد.

تقول:
"كان اسمه يوسف...
واليوم صار اسمه كل الأطفال".

دموعها لا تسقط،
بل تتحول إلى أنهار
تغسل وجه الأرض،
وتترك خلفها بذورًا خضراء.

إنها دموع ليست للانكسار،
بل للبداية.

12
جدار الصمت

إسرائيل تبني جدرانًا،
أسوارًا من إسمنت وحديد.

لكن ما الجدوى من الجدران
إذا كانت الحقيقة طائرًا حرًا؟
ما جدوى الأسلاك الشائكة
حين تنكسر أمام كلمة؟
ما جدوى الأبراج
حين تنهار أمام صورة طفل؟

الجدار الذي يحميهم
هو الجدار الذي يخنقهم.
وكلما ارتفع،
زاد ثقل نهايتهم.

13
التيه المعاصر

كما تاه بنو إسرائيل أربعين عامًا في الصحراء،
تتوه إسرائيل اليوم في صحراء السياسة.

لا تعرف صديقًا من عدو،
لا تملك إلا أن تخاف ظلها.

تائهة في الأكاذيب التي صنعتها،
في الضجيج الذي أطلقته،
في الدم الذي سفكته.

وكل تيهٍ له نهاية،
وكل مسارٍ مغلقٍ
يقود إلى الهاوية.

14
فناء العملاق

يُقال إن إسرائيل عملاق،
لكنها عملاقٌ من طين.

الطين يتشقق،
حين تشرق عليه شمس الحقيقة.

النمرود كان عملاقًا من نار،
فأطفأه الله.
فرعون كان عملاقًا من بحر،
فابتلعه الله.
وإسرائيل عملاقٌ من طين،
سيتفتت مع أول مطرٍ نازل،
ومع أول ريحٍ صاعدة.

15
سفر الشهداء

كل شهيد في غزة
ليس نهاية حياة،
بل بداية صفحة.

دمه يُكتب على السماء كقصيدة،
وصوته يُحفظ في الريح.

الشهداء لا يموتون،
بل يصيرون حروفًا خالدة
في كتاب الله المفتوح.

والطغاة لا يفهمون،
أن كل رصاصة تطلقها أيديهم،
هي توقيع جديد
على وثيقة فناءهم.

16
النبوءة

النبوءة ليست سحرًا،
وليست غيبًا بعيدًا.

النبوءة هي أن ترى ما لا يريد الطاغية أن يراه.
أن تسمع الصوت الذي يغطيه الضجيج.
أن تؤمن أن الليل مهما طال،
يليه فجرٌ لا محالة.

النبوءة هي أن تعرف أن إسرائيل،
مهما ارتفعت جدرانها،
ستسقط يومًا.
لأن الله كتب في كتابه:
"إن الطغاة لا يخلدون".

17
الأغنية الأخيرة

من بين الدمار،
تخرج أغنية.
لحنها ليس على العود،
ولا على الكمان،
بل على صرخات الأمهات
ونبض الأطفال.

أغنية تقول:
"لن نُهزم،
لن نموت،
لن نغادر هذه الأرض".

هذه الأغنية
هي آخر ما يسمعه الطغاة
قبل أن يغرقوا في صمتهم الأبدي.

18
عودة الأنبياء

في غزة،
يمشي إبراهيم بين النيران.
يرفع موسى عصاه أمام البحر.
تغني مريم لطفلها الوليد تحت الزيتونة.
ويصعد محمد ﷺ من بيت المقدس إلى السماء.

كل نبي مرّ من هنا،
ترك وصيته:
"هذه الأرض للحق،
ولن تبقى لظالم".

الطغاة يظنون أن الزمن ملك لهم،
لكن الزمن ضدهم.
يظنون أن السلاح حاميهم،
لكن السلاح شاهد عليهم.

يظنون أن النارتُخيف،
لكن النار بردٌ على قلوب المؤمنين.

ويظنون أن البحر سلاح،
لكن البحر دائمًا
في صف المظلومين.

إسرائيل ستفنى،
كما فنى كل طاغية من قبل.
وستبقى غزة،
قصيدة طويلة
تُتلى على مسامع العالم،
إلى آخر الدهر.